حوار مع عبد السلام بنعبد العالي: الصحافة كأداة لتطوير اللغة

إعداد: سحر وفقا

ساهم المفكر المغربي، عبد السلام بنعبد العالي في ترجمة منجز فكري كبير من اللغة الفرنسية إلى العربية. ضمن هذا السياق، يتحدث لمجلة الصحافة عن دور الصحافة في «خلق لغة جديدة بعيدة عن روح الأكاديميا وقريبة من ترويج روح الأفكار».

تلا نشأة أولى الصحف المطبوعة خلال القرن السابع عشر في أوروبا موجة من الانتقادات وتضييق على الرأي والفكر وكذا رقابة صارمة خصوصا من لدن المفكرين والفلاسفة والأدباء. ففي رسائله الفارسية (1721)، أبخس مونتسكيو، مثلا، عمل الصحفيين قائلا: "إنهم عديمو الفائدة للدولة، فأحاديثهم منذ خمسين عاما، لا يختلف أثرها عما لو سكتوا هذه المدة الطويلة. ومع ذلك يعتقدون أنفسهم عظماء يضطلعون بأمور عظيمة، ويعالجون شؤونا ذات آثار جليلة". كذلك كان موقف جيل دولوز سلبيا تجاه عمل الصحفيين، حيث هاجمهم في باب "الثاء" على وزن "ثقافة" في البرنامج الحواري "أبجديات جيل دولوز" (1)، معتبرا أن كل صحفي يعطي لنفسه الحق في أن يكون كاتبا، وأن مؤلفاتهم لا ترقى أن تكون مؤلفات بمعنى الكلمة بل مجرد مقالات مطولة لا علاقة لها بالأدب أو بالفلسفة. لم يكن لدولوز أن يتخيل الخدمة التي قدمها له هذا البرنامج بعد وفاته، فكما أوضح المفكر والمترجم المغربي د. عبد السلام بنعبد العالي (2) في حوار خص به مجلة الصحافة، فإن "كثيرا ممن يتحدثون عن دولوز اليوم لا يعرفونه إلا عن طريق هذا الحوار. فليس من السهل إذاً أن ننكر الدور الذي تؤديه الصحافة في ترويج الأفكار." وأردف في ذات السياق: " كان رولان بارت قد أشار إلى ما أسماه القراءة عن طريق النقل، أو المعرفة عن طريق السمع، منبها أن كثيرين منا يتحدثون عن كتب لم يقرؤوها، إلا أنهم يعرفونها من شدة ما سمعوا عنها." لذلك، ومن منطلق وعيهم بهذا الدور المحوري

للصحافة، نجد أن العديد من الفلاسفة مارسوا الصحافة، وقاموا بتوظيف معرفتهم ومناهجهم التحليلية لتقديم قراءات في القضايا الراهنة. كما أن التأثير البالغ للصحافة في محيطها الاجتماعي والسياسي، جعل من الفلاسفة من أمثال غاستون باشلار يعتمدونها منهجا للترويج لأطروحاتهم.

كثير ممن يتحدثون عن دولوز اليوم لا يعرفونه إلا عن طريق حوار تلفزيوني. فليس من السهل إذاً أن ننكر الدور الذي تؤديه الصحافة في ترويج الأفكار.

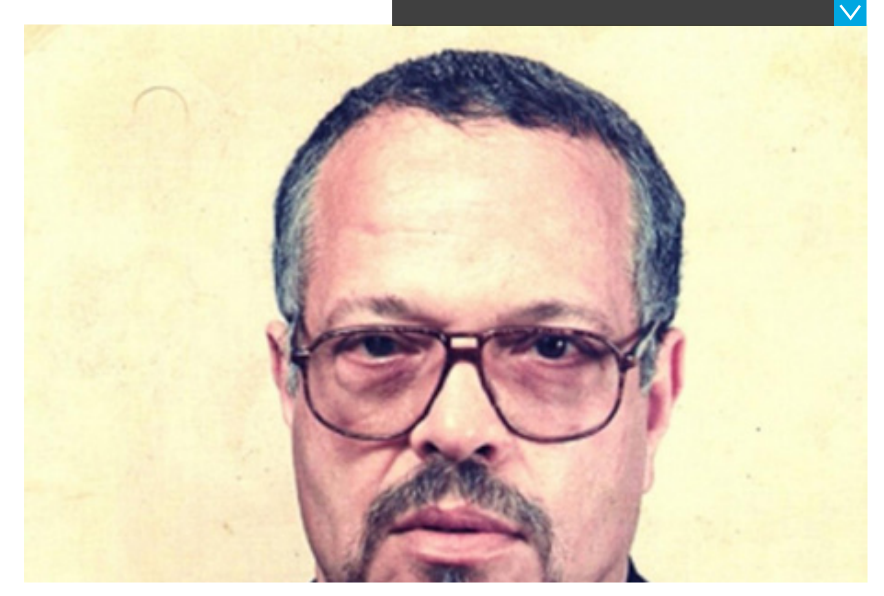
الذي عرفه القرن التاسع عشر، أصبحت الصحف من ضروريات الحياة. ولكيلا نحصر أنفسنا في الدور الكلاسيكي للصحافة الذي يهم نقل الأحداث السياسية والاجتماعية، يحدثنا د. عبد السلام بنعبد العالي عن الدور "الخطير" الذي أدّته الملحقات الثقافية للصحف الكبرى في حياتنا المعاصرة، حيث قال إنه باستطاعتها: "خلق لغة بعيدة شيئا ما عن الروح الأكاديمية، وبالتالي، ملاحقة ما يقتضيه التجديد. وقد عرف العالم العربي فترات كان التجديد الثقافي ملقى أساسا على الصحف وملاحقها الثقافية، خصوصا وأن نشر الكتاب العربي وتوزيعه كانا - وربما لا زالا - يلاقيان كثيرا من الصعوبات. وربما كان ذلك هو

للكتاب". لكن، لا ينبغي - في تقدير عبد السلام بنعبد العالي - أن نبخس من أهمية ذلك، فنظرا للسرعة التي تنتشر بها الصحيفة، فإنها تروج المفاهيم المستجدة، بل ولبعض المواقف والآراء، قبل أن تقرأ على صفحات الكتب، بالإضافة إلى أن أغلب المفكرين المعاصرين يصبحون من حين لآخر، صحفيين يروّجون لكتبهم على الشاشات الصغيرة، فيعملون على أن "تُقرأ" قبل القراءة. ويكفي أن نذكر أسماء بعض الفلاسفة الفرنسيين الأحياء الذين يطلون علينا صباح مساء ليحدثونا عن آخر إنتاج لهم، ليس في شاشة بعينها، فهم يجوبون الشاشات، ويطلون علينا منها واحدة تلو الأخرى".

ومع ذلك، استنكر علماء اللسانيات والمتخصصون في الشأن اللغوي دوما الخطر الذي يهدد اللغة بسبب العجلة التي تتطلبها الكتابة الصحفية، بيد أن لغة الملاحق الثقافية كانت دوما تسمو باللغة وتقدمها في أبهى حللها. فالكلمة، التي هي أداة لغة الصحافة والأدب على السواء، تستعمل لنقل الخبر ولكنها أساس وجوهر التعبير الأدبي.

ومن ثمة، وحتى إذا سلمنا أن "لغة الجرائد" هي التي تشيع الأخطاء والركاكة التي أصبحت "مقبولة" بسبب كثرة تداولها، فإنه لا يمكن إنكار الدور الريادي للصحافة فيما يخص: "تطوّر اللغة، ربما بشكل أسرع مما يتم في الوظائف والسياقات الأخرى

عبد السلام بنعبد العالي، المفكر والمترجم المغربي (إنترنت).



بعد هذا المخاض الصعب، وتحطيم القيود التي كانت تقف في طريق ازدهار الصحافة، ومع التطور الاقتصادي

السبب في أننا أصبحنا نتابع كتبا بأكملها وهي تنشر في حلقات على أعمدة الصحافة قبل أن تتخذ الصورة المعهودة



حتى إذا سلمنا أن «لغة الجرائد" هي التي تشيع الأخطاء والركاكة التي أصبحت «مقبولة" بسبب كثرة تداولها، فإنه لا يمكن إنكار الدور الريادي للصحافة فيما يخص «تطوّر اللغة» (شترستوك).

التي تستخدم فيها اللغة. بل إننا يمكن أن نذهب إلى القول بأن الصحافة "تُحدّث" اللغة، أو على الأقل تساهم في ذلك التحديث. وهذا أيضا ما تفعله الترجمة عندما تفتح اللغة على آفاق مغايرة". وإذ يربط الأستاذ بنعبد العالي في معرض حديثه عن اللغة الصحفية، إيجابيات اللغة الصحفية بإيجابيات الترجمة، فإنه مع تسارع وتيرة الأحداث في العالم والمحاولات الحثيثة للإعلام وللمؤسسات الإعلامية لمواكبتها، أصبح الخبر الصحفي وترجمته وجهين لعملة واحدة، إذ إن الترجمة غدت صلب العمل الصحفي وركيزة من ركائزه الأساس. وهنا يقربنا الأستاذ بنعبد العالي من هذا الواقع المهني قائلا إن الصحفي: "عندما يجد نفسه مجبرا لكي ينقل المعلومة، أن يترجمها وينقلها إلى لغته، فهو يخضع اللغة لمحنتين وامتحانين، ويعمل على تحديثها بشكل مضاعف. خصوصا وأنه يكون مجبرا - في غالب الأحيان - على أن يستقي المعلومة من مصادر تتباين مواقعها ولغاتها. لذا فهو ما يفتأ يترجِم. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنه لا بد وأن يواكب الأحداث في طراوتها

> **يمكن أن نذهب إلى القول بأن الصحافة تُحدّث اللغة، أو على الأقل تساهم في ذلك التحديث. وهذا أيضا ما تفعله الترجمة عندما تفتح اللغة على آفاق مغايرة.**



استنكر علماء اللسانيات والمتخصصون في الشأن اللغوي دوما الخطر الذي يهدد اللغة بسبب العجلة التي تتطلبها الكتابة الصحفية (إنفاتو).

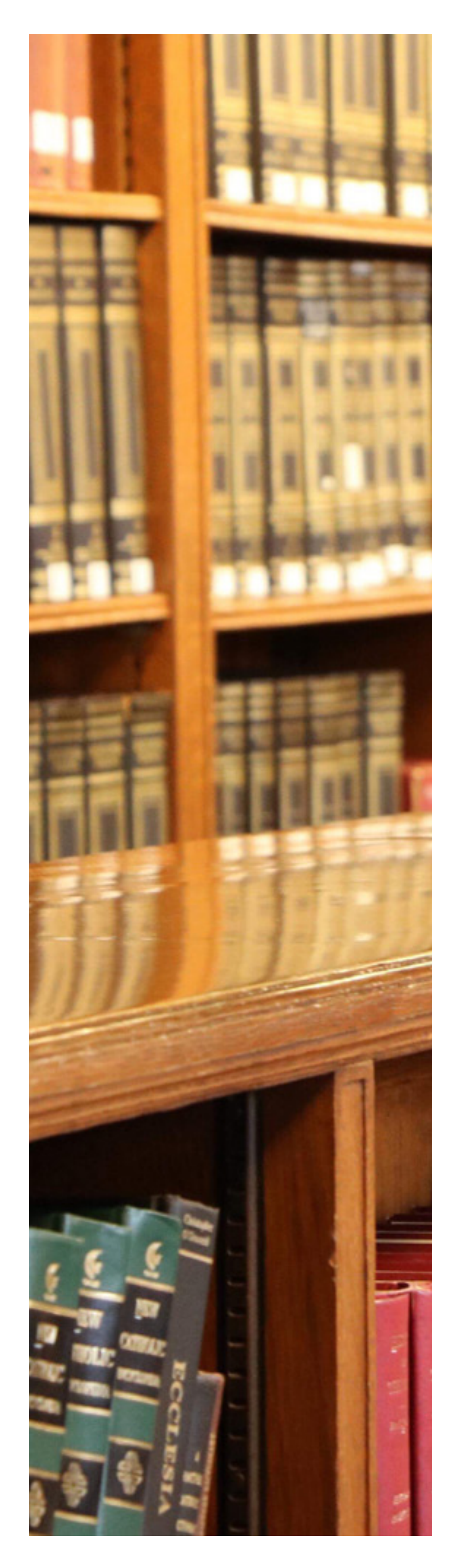
وجدتها، فلا مفر له من أن يعمل على ملاحقة الجديد، لا مستجدات الأحداث فحسب، بل جديد اللغة، وجديد المخترعات، وبالتالي جديد الألفاظ المعبرة. نلمس هنا الدور التحديثي الهائل الملقى على عاتق الصحفي، قصدا منه أو من دون قصد." إلا أن طبيعة العمل الصحفي وما تقتضيه من سرعة في الإنجاز لا تعفي الصحفيين والمترجمين الصحفيين من كم الانتقادات التي توجه إليهم نتيجة لما يعتبر "تسرعا" عوض "السرعة" في القيام بالمهام المنوطة بهم، مما يفضي إلى اجتزاء قضايا كبرى من سياقاتها السياسية والثقافية.

> **عرف العالم العربي فترات كان التجديد الثقافي ملقى أساسا على الصحف وملاحقها الثقافية، خصوصا وأن نشر الكتاب العربي وتوزيعه كانا - وربما لا زالا - يلاقيان كثيرا من الصعوبات.**

عن هذا الإشكال يبين لنا عبد السلام وجهة نظره: "نتصور، والحالة هذه، كمّ الترجمات التي تُنجَز في كواليس قاعات تحرير الصحف والإذاعات والتلفزيونات، وما ينجم عن ذلك من "تطويع" للغة المستقبِلة، بهدف ملاحقة المستجد سياسيا واجتماعيا وأدبيا وفكريا. كما نتفهم - والحالة هذه - التحديات التي يواجهها الصحفي وهو ينقل المعلومة من لغة إلى أخرى.



الصحفي لا يرحمه الزمن، وهو لا يتأمل الأحداث وإنما يلاحقها. إنه متطلع دائما إلى ما سيأتي، وهو مضطر لأن يترجم ويحرر قبل أن يداهمه موضوع أو حدث آخر (إنفاتو).



فهناك أولا التحدي الزمني، فالمترجم الصحفي لا يأخذ الوقت الكافي لقراءة النص وترجمته ثم تنقيحه على غرار ما يفعل مترجم الكتاب الأدبي. الصحفي لا يرحمه الزمن، وهو لا يتأمل الأحداث وإنما يلاحقها. إنه متطلع دائما إلى ما سيأتي، وهو مضطر لأن يترجم ويحرر قبل أن يداهمه موضوع أو حدث آخر". إنه – كما يقول- ليس "مؤرخا يحاول "تثبيت" ما يجري، وإنما هو "عداء" يحاول الجري وراء ما يجري. فلا بد له - والحالة هذه - أن يكتفي بالترجمة التي تقترب من المفهوم من غير أن تكون مطابقة له. الصحفي يخون الأحداث بتجزيئها، ويخون المعلومة بنقلها بلغة مقاربة، وكل ذلك حتى لا يخون نقل ما يقع." وفي ذات الصدد، شدد الأستاذ بنعبد العالي على الدور الطلائعي للصحافة الرياضية في تجديد اللغة العربية، منهيا حديثه لمجلة الصحافة بقوله: "ما دمنا بصدد الحديث عن الجري واللحاق، لنذكر الدور الريادي الذي لعبته الصحافة الرياضية في العالم العربي في تعريب المصطلح الرياضي وتوحيده وترويجه، بل تطويره مجاراة لما يتطلبه تطور الرياضات وتغير القوانين المنظمة لها."

المراجع:

1) "أبجديات جيل دولوز" هو وثائقي فرنسي من إنتاج بيير أندريه بوتانغ، تم تصويره بين عامي 1988 و1989، ويتألف من سلسلة مقابلات بين الفيلسوف الفرنسي وتلميذته، الصحفية كلير بارنيه، التي أقنعته ببدء بثه سنة 1995، بعد أن قد قرر عدم السماح ببثه إلى حين وفاته.

2) ولد الدكتور عبد السلام بنعبد العالي سنة 1945 في مدينة سلا المغربية، وهو مفكر وكاتب ومترجم وأستاذ بكلية الآداب في جامعة محمد الخامس بالرباط. تدرجت مؤلفاته بين دراسات فلسفية وتنظير لما هو أدبي ومن ثم دراسات للترجمة وحيثياتها وللشّأن اللغوي، فضلا عن الترجمات التي قدمها لعدة أعمال: الفلسفة السياسية عند الفارابي (1981)، أسس الفكر الفلسفي المعاصر (1991)، حوار مع الفكر الفرنسي (2008)، الكتابة بيدين (2009) في الترجمة (2001)، الكتابة بالقفز والوثب. ومن ترجماته: الكتابة والتناسخ لعبد الفتاح كيليطو (1985)، أتكلم جميع اللغات لعبد الفتاح كيليطو (2013)، درس السيميولوجيا لرولان بارت (1985).